

ذكرى محمد علي الأكبر

وفيها خطاب من « جيريمي بنتهام (١) » الفيلسوف السياسي الانجليزي في سنة ١٨٢٨

هذه هي الذكرى الثالثة التي اكتبها في مثل هذا اليوم تخليداً لاسم بطل من ابغال القرن التاسع عشر الدين اشربت نفوسهم روح الثورة الفرنسية فقاموا على اكتاف جنودهم من الشعب يؤسسون عروشاً ويقوّون اخري ومحاربون ضلالات العهد القديم من فوضى وامتيازات وتعصب وتقاليد. وما زالوا يعملون موقفين بين مصالحهم الدائمة ومصالح البلاد حتى شيدوا للنظام قلاعاً واثبتوا العامة حقوقاً واقاموا العدل والعقل والعلم محاكم ومدارس ومعاهد اثمرت فيها المذاهب وتوحدت امامها الطوائف فتكونت على اثر ذلك الوحدات القومية كل بجزائها الاستقلالية الخاصة

ولئن اظهر الابغال الوطنيون في اوربا المنورة عبرية فادرة المثال في اعمال الحرب والسياسة والتعبير فان محمد علي في مصر كان يجاهد وسط غمة حالكة وفساد مزمن شامل بمزيمه ماضية وقامة ما لبث ان تسرب تيارها الى نفوس ابنائهم واحقادهم والذين حولوه فلم يعض ربع قرن من الزمان حتى نهضت مصر حريياً واقتصادياً واديباً واخذت مكانها في الحال وسط دول العالم المتمدد تشهد الملا على اهليتها للاستمتاع بكامل حقها في الاستقلال

ولما كانت القوة اولى الفضائل التي تحترمها الدول وتمثل لها الحساب كله وكان محمد علي من القوة ما ظهر به في ميادين القتال على مشهد من اوربا عند « الدرعية » و « شندي » و « مولجي » و « قونية » و « نصيبين » وكانت اوربا تعلم انه في استطاعته ان ينفذ بالقوة ما لم تجبه اليه باللطف سارعت فنظمت صفوفها وحالت بين محمد علي وبين ثمره انتصاراته . وكان قد اصر على ان يستقل بمصر وسورية ويحكمهما بحق الوراثة في ذريته

(١) جيريمي بنتهام الفيلسوف وانتشر الانجليزي الشهير في القرن الثامن عشر والقرن التاسع

عشر ولا سنة ١٧٤٨ وتولى سنة ١٨٢٢

عارض الدول وعارضته ووقفت مصر بمفردها في أكتوبر سنة ١٨٤٠ مستهدفة لضياح كل شيء إلا الشرف الوطني . ياله من موقف هائل مزربا أوروبا مشرف لمصر ! أوروبا التي اقامت استقلال اليونان واستقلال البلجيك وشيلي والمكسيك وباقي مستعمرات اسبانيا في امريكا تقف باساطيلها المتحدة امام سواحل الشام واسكندرية لترغم جيشاً منتصراً على قبول شروط الهزيمة ! ولماذا لان استقلال محمد علي في مصر وملحقاتها كان من شأنه ان يعكر السلام في أوروبا المطمئنة وبشير فيها حربياً طالمة لم تكن الدول على استعداد لمواجهةها ! قالوا ذلك والحقيقة انهم كانوا ولا يزالون يكرهون قيام دولة قوية على ابواب الشرق تقف سداً منيعاً بين أوروبا واسواقها ومستعمراتها في الشرق

ما كان لمحمد علي ان ينشئ طوعاً امام تهديد أوروبا ووعيدها بل وقف وقفة نابليون عند « واترلو » لما بات ينتظر « جروشي » اذ ظل محمد علي الى آخر ساعة ينتظر دخول فرنسا الحرب ضد الحلفاء حتى خاب امه في ذلك بسقوط وزارة المير تيريس واضطر الى قبول المناقضة مع الحلفاء من غير ما هزيمة على اساس استقلال مصر الداخلي بحق الوراثة في اسرته حسب شروط معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ . وعلى ذلك ضاعت مجهودات محمد علي والمصريين في بلاد العرب وسورية وكريت وهي البلاد التي اخضعها محمد علي وكانت تابعة لتركيا . اما السودان الذي فتحته جنوده فتحاً فلم يكن يوماً ما تابعاً لتركيا ولذا احتفظ به محمد علي الى النهاية . ولقد كتب سفير انجلترا في فينا في ذلك الوقت الى المتمد الانجليزي في مصر ينقل اليه رغبة الدول في ذلك فقال « اذا كان حقاً ان محمد علي لا يرمي الا الى تثبيت حق اسرته في ملكه فليس هناك مجال اوفق لتثبيت هذا الحق كاملاً من قارة افريقيا فهناك تنقلب أوروبا صديقة له ويستطيع ان يتال منها الضمانات الكافية لسلامة ممتلكاته »

وليس ادل على عظيم اهتمام العالم بشأن محمد علي ونبوغته في حكم مصر من كتاب كشيبة « بنتهام » الفيلسوف السياسي الانجليزي لمحمد علي ينسط فيه آراءه بخصوص مولي العهد والاستقلال والدمستور . وصورة الكتاب محفوظة في مخطوطات المتحف البريطاني بلندره وقد عثرت عليه اثناء ابحاثي التاريخية فالتفت ترجمته

هنا بكل تقطع (٢) :

٢٨ أبريل سنة ١٨٢٨

من جبري بنتهام الانجليزي الى محمد علي باشا بمصر
بارئيس مصر :

عرفك الناس منذ زمن انك أكثر الامراء المسلمين تنوراً واشدهم رغبة في
الاصلاح ولم يبق الا ان تعمل على بقاء هذه الاصلاحات وهذه الشهرة الدائمة.
فانت في الحقيقة احد النجوم الساطع التي ظهرت في هذا القرن وما عليك الا
ان تزين مجلال اسمك صفحات القرون المقبلة

واني سأبشرك بالوسائل اللازمة التي تخلد بها اسمك واصلاحاتك . لقد تحدثت
مع ثلاثة من الذين عرفوك وخدموك مدة طويلة وهم بكنجهام الانجليزي وبرادش
وتوماس جالوواي مهندسك الامين ومنهم وقفت على دقائق تسميتك وصمو
اخلافك. ولقد قال لي جالوواي انك مثلي تدين بالمذهب النفعي (Utilitarianism)
ادبياً وسياسياً وان ما ترمي اليه من كل اصلاحاتك انما هو ترقية جميع الذين
يعملون تحت سلطانك وابلاغهم اقصى درجات السعادة . وقد ذكر لي انه جاءك
وهو لا يس رداء العمل فلما علمت بوصولك لم تستكف من مقابلته بل تقدمت
اليه وامسكت يديه . وهذا يا رئيس مصر منتهى مكارم الاخلاق ودليل على انك
بعيد عن صفات التعاطف والكبرياء واني مثلك امنت الكبر وازدريه
تلك الوسائل التي اشرت اليها هي الدستور والاستقلال وحفيدك عباس الذي

(٢) كتاب بنتهام الى محمد علي المخطوط في المتحف البريطاني بلندن هو نسخة من الكتاب
الاصلي محفوظه ضمن اوراق اللورد بروون Broughton (السيرجون كالم هبوس
Oam Hobhouse) الذي كان كاتباً سياسياً شهيراً وماصراً لبنتهام وتقلد منصب
الوزارة في عدة وزارات . اما الكتاب الاصلي فقد حمله Galloway صديق بنتهام الى محمد علي
وقال جالوواي مهندساً في خدمة محمد علي ولا بد ان يكون محمد علي قد اطلع عليه . والذي يهنا
الآن هو التحقق من وجود الكتاب الاصلي ضمن اكداس الاوراق في الخانة الملكية على ما
اظهر الكتاب مكتوب في عدة صفحات بالامه افردوية المنصه في ذلك الوقت . وخطه حادي
وخطاته ظاهرة الا في بعض تقطع قليلة

والصورة المنشورة هنا تحوي كل تقطع الكتاب ولست ترجمة حرفية له وما وضعت فيها بين
قوسين فهو اضافة للايضاح

فيها دخل اسرائيل ارض كنعان اي قبل التاريخ المسيحي بألف وخمسة وخمسين سنة وسمين سنة (١٥٢٥) وان يكون لهم يوبيل في كل خمسين سنة . وعدد اليوبيلات التي يجب الاحتفال بها ٧٠ يوبيلاً . واليوبيل ٥٠ سنة فالجوع ٣٥٠٠ اي ١٥٢٥ + ١٩٢٥ . فاذا يحدث سنة ١٩٢٥

ان الكتب المقدسة تصرح بحقيقة معينة وهي ان ابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم من رجال الله القدماء سوف يقومون من الاموات وينالون النعمة الاولى . وعليه بقنا نتوقع ان نرى في سنة ١٩٢٥ رجوع رجال اسرائيل الاوفياء او نشرهم من الاموات ومنحهم اجساداً بشرية كاملة خالدة تكون عملة لنظام الاشياء الجديد على الارض . فمرعد دورة اليوبيل يتدنى عام ١٩٢٥ . وقد جاء في الانجيل قوله ان ايام الضيق على الارض تقصر لاجل المختارين ولولا ذلك لم يخلص احد فاذا قصرت خلعت اجساد كثيرة وبقي على الارض كثيرون من الذين اشر اليهم عنوان الكتاب اي « الملايين الذين هم احياء اليوم ولن يموتوا ابداً » . وليس المراد بذلك ان كل واحد يحيا الى الابد بل الذين عملوا الصالحات واطاعوا الله وحادوا عن الشر منهم . ثم ان الاتقياء الذين يكونون قد بلغوا من الكبر عمياً ترجع اليهم ايام شبابهم ويردون الى حالة الكمال جسماً وعقلاً

وليت الحركة الصهيونية في زعم الكتاب سوى مقدمة لازمة لمجيء المسيح الثاني تماماً للنسوات فيجب تركها وشأنها لانها ان كانت من الله فقاومنها لانجدي قطعاً وان لم تكن من الله سقطت من نفسها

والكتاب مذيل بجميع الآيات الواردة في التوراة والانجيل عن انتهاء العالم ومجيء المسيح الثاني وسائر ما له علاقة بهذا الموضوع . وهي عملاً أربع عشرة صفحة بحرف صغير

هذا ما عن لنا نقله عن الكتاب الذي بين ايدينا . وتكتفي في التعليق عليه بترديد ما قلناه في صدر هذا المقال وهو ان سنة ١٩٢٥ غير بعيدة عنا . فمسي الله ان يهينا حتى نراها ومن يمش يره

